تقديم الأستاذ الدكتور محمد علي الإمام[١]

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا ، وإنه لهو الإسلام الذي اشتق اسمه من اسم من أسماء الله الحسنى السلام ، واتخذ محتواه من فحواه ، وقد دعينا للدخول في السلام كافة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة:٢٠٨] ، والصلوات المباركات الزاكيات على نبي الرحمة ورسول الملحمة الذي دعانا إلى سبل السلام وبشرنا بدار السلام .

أما بعد :

فهذه دراسة قيِّمة جاءت في أوانها وبما يكافئ ما يواجه عصرنا ، من باحث اجتمع لديه الاجتهاد في التحقيق في طلب العلم وتحقيق مسائله ، مع المعرفة والالتزام بمناهج البحث العلمي ؛ ولذلك أفلحت دراسته القيمة في نقد مفهوم الإرهاب كما جاء لدى القواميس والهيئات والحكومات والساسة والمفكرين في الغرب ، والباحث يراها محاولات مضطربة وقاصرة .

إن من خصائص الإسلام هي اتخاذه المعالجة السلمية ، والمحاورة الفكرية أساسا لدعوته ، وهي خصيصة لا يجاريه فيها وثيقة دولية ، ولا يباريه قانون دولي ، بل هو يتبوأ في ذلك ذروة تتقاصر دونها سائر المساعي البشرية . فهو يعد من قتل نفسا بغير حق فكأنما أباد النوع البشري بأسره ، ومن أحياها فكأنما أحياه . ﴿قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَمَنۡ

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة :٣٢] .

هكذا تبلغ حرمة حق الحياة في الإسلام . . . ثم إن دعوته تتخذ من حرية أفراده وطلاقة المشيئة ، أصلا أصيلا ، كما نقرأ في سورة مكية قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٰمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩] ، وكما استقر الأمر على ذلك في سورة مدنية وذلك قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، وهو أصل يدل أيضا على حرمة حق الحرية... وإزاء هاتين الحرمتين ، حق الحياة وحق الحرية ، يبدو قصور ميثاق الأمم المتحدة ، ولا يستوي شيء مع منهج القرآن الكريم الكامل المتكامل .

قد عالجت الدراسة في نقدها لهذه المفاهيم الغربية العلاقة ، في العمل الإرهابي ، بين الدولة والأفراد والجماعات ، وذلك على وجه الكفاية ، وربما كان يمكن أن تضيف إلى طرفي هذه المعادلة أشكالا أخرى ، كإرهاب الدولة لدول أخرى ، أو لشعب آخر ، أو كإرهاب جماعات لدول أخرى ، أو جماعات أخرى أو شعوب أخرى . . . وذلك حتى نعطي الإرهاب بعده الأوسع وهو الإرهاب الدولي .

ولقد استأثرت بإعجابي إلماعات ذكية ذهبت إليها هذه الدراسة الموفقة وهي تشير إلى « الإرهاب الذهني » ، بجانب مصادر الإرهاب الأخرى . . .

ولعل أقرب الأمثلة لذلك ، اعتبار أي نقد لبواعث الكيان الصهيوني في نزعته الاحتلالية والتوسعية والعدوانية بمثابة عداء للسامية . . .أو اعتبار مناصرة الشعب الفلسطيني دعما للإرهاب .

ولمحة بارعة أخرى ، وهي ما ذهبت إليه الدراسة من أن حماية الولايات المتحدة للكيان الصهيوني في مجلس الأمن من الإدانة على قتله للمدنيين ، أو رفضها لمبدأ المراقبين الدوليين لحماية المدنيين ، هذا الموقف الأمريكي يعطي المشروعية لقتل الفلسطينيين ويفتح الباب لاستباحة قتل المدنيين عموما ، وبذلك تعتبر الولايات المتحدة شريكة بصورة ، ولو غير مباشرة ، في المسؤولية عن مواقف المعادين لها .

جزى الله تعالى خيرا أخانا الباحث الدكتور طاهر مهدي البلّيلي على هذا الجهد الطيب ، الجامع بين أصالة الوجهة ومواجهة الواقع المعاصر بما يكافئه . ونسأل الله تعالى أن يكتب له قبولا عنده ونفعا للأمة وانتشارا مصحوبا باستحسان مع طلاب الحقيقة .

*****

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول السلام إلى البشرية أجمعين ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه دعاة السلام الخالدين ، وعلى الطيبين الطاهرين من عباد الله المؤمنين . فها هي ذي الطبعة الأولى من كتاب « **مفهوم الإرهاب في الفكر الإنساني والشريعة الإسلامية** » الذي هو في الأصل بحث قدم للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث في الدورة التاسعة بمدينة دبلن حيث مقر المجلس الدائم .

وهو اليوم دراسة نقدية مقارنة لمفهوم مصطلح الإرهاب في الشريعة الإسلامية وفي الفكر الإنساني المعاصر الذي غدا بفعل العولمة قضية العصر ومسألة البشرية الكبرى حتى لكأن غيره من القضايا لا قيمة لها . وتلك القضايا ، في نظرنا ، أخطر بكثير مما نحن بصدده من الحديث عن الإرهاب . لشيء بسيط جدا ، وهو أن الإرهاب يمكن تشخيصه ، ومن ثم تحديد أسبابه فيسهل بذلك القضاء عليه .

وما دامت البشرية كلها مجتمعة على مقارعة شيء هي التي أوجدت أسبابه ، فبنظرنا لن تنجح في القضاء عليه إلا عندما تجفف منابعه من الأساس ، بإقامة العدل بين الشعوب وإعادة الحقوق المسلوبة إلى أصحابها ، والعمل على إقامة توازنا دوليا . ومن خلال هذه الدراسة النقدية المقارنة لتفاوت الفهم بين الناس في تحديد المصطلح في نفسه ، أردنا أن نبين أنه لا بد من شروط مسبقة توضع من أطراف بعيدة عن التأثير والتأثر ـ كما شرحنا داخل البحث ـ كي يستطيع العلماء والأكاديميون ورجال الفكر أن يجدوا تعريفا ، إن لم يُصِبْ كَبِدَ الحقيقة يكون قد قارب ـ قدرَ الإمكان و﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقر:٢٨٦] .

لقد حاولنا هنا أن نحدد المصطلح ، ونضبط مفهومه ، ونرسم معالم طريق دراسته ، ونقيم القواعد التي تسهل تلك الدراسة ، ونؤصل المفهوم في الفكر الإنساني وفي الشريعة الإسلامية ، من أجل الوصول في نهاية المطاف إلى بوتقة مشتركة من شأنها أن تقارب بين المفاهيم المختلفة للمصطلح ذاته ، وتنشئ أفقا ذا تصور متناسق يجعل من التعريف تعريفا حياديا شموليا ، وهادفا .

لأجل ذلك بدأنا ، في هذا الكتاب ، بعرض تعريفات فكرية وسياسية ولغوية ، لمفكرين وساسة وعلماء ، ثم انتقدناها جميعا وقوّمنا الخلل الذي فيها مع إشادتنا بمن قاربوا ، حتى ولو لم يسدّدوا في تعريفهم للمصطلح . بعد ذلك ، وثّقنا كل ما نقلناه بالعزو إلى مصادره ومراجعه ، حرصا على المصداقية العلمية الأكاديمية للبحث . ومن المصادر التي استعملناها في البحث مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) فيما يتعلق بالمواقع الرسمية لبعض المنظمات العالمية المعروفة مثل مواقع الجيش الأمريكي ، ووزارة الدفاع البنتاجون ، والمخابرات العامة . . . وغيرهم . وهذه المواقع هي بمثابة النشرات والكتب والمجلات التي تعبر عن فكر وتلك المنظمات فلا ضير باتفاق المفكرين والمختصين في استعمالها والاستقاء منها . عكس ما يظنه بعض الجهلة وأولئك الذين لا يحسنون استعمال الشبكة فينتقدون من يستعملونها .

أما فيما يتعلق بالمنظومة الشرعية الإسلامية ، فإننا قمنا بحصر المصطلحات التي لها المدلول نفسه الذي لمصطلح الإرهاب في عصرنا الحاضر ، وعرضنا آراء المدارس المختلفة والفقهاء بشكل عام ، فخلصنا إلى حقيقة أن الفقهاء الأوائل ، كانوا يعتبرون كل عمل سوداوي عنيف وظالم من الأعمال الإرهابية ، التي تستحق أقصى العقوبات المقررة في الفقه الإسلامي .

في نهاية المطاف وصلنا إلى أنه لا يوجد تعريف جامع مانع لمصطلح الإرهاب ، ما جعلنا نضع تعريفا نزعم أنه يحتوي على كل عناصر التعريف العلمي ، وبخاصة أننا استنرنا بتوجيهات بعض الحقوقيين في جوريس سيتي Juriscité ، وتدارسنا معهم الموضوع ، بحيث حصرنا عناصره واستخرجنا محترزاته .

نصل في النهاية إلى قناعة مفادها أن تصحيح مسالك التفكير ، بالغوص إلى حقائق الأشياء المستورة ، وعدم الوقوف عند الظواهر المكشوفة ، والانتقال التدريجي عبر مراحل الملاحظة ، وردّ الفروع إلى الأصول ، والأشباه إلى النظائر ، وبناء القواعد العامة ، وتأسيس الضوابط الكلية ، وتصحيح المنطلقات الفكرية ، والتماس مآلات الأفعال ، والحكم على الأمور بمقاصدها ، هو السبيل الوحيد إلى التغيير الناجح لواقع الأمة كي تنطلق إلى مستقبل زاهر ، تضع فيه أقدامها على بداية طريق السؤدد والعز .

وفي خضم تزاحم الأفكار التي تملأ هذا الكتاب ، يخيل إليك أن الجميع متفق على أن الإرهابي هو المسلم ، وأن الضحية هو غيره ، وأن الإسلام هو دين الإرهاب ، وأن غيره من الأديان والفلسفات هي أديان وفلسفات السلام .

ولكنك لا تكاد تختم الكتاب حتى يتبين لك بالدليل ، أن المسلمين عبر التاريخ ، كانوا ضحية للإرهاب ، ولا يزالون ، وأن الإسلام هو دين السلام العالمي .

يُجمع العالَم كله على أن الإرهاب هو سلاح الضعفاء أمام الأقوياء ، ولكن هذا الكتاب يثبت لك أن العكس هو الصحيح ، من خلال كشف الممارسات العملية لهؤلاء الأقوياء ؛ أي أن الإرهاب هو سلاح الأقوياء ضد الضعفاء الذين لا سلاح لهم .

وأخيرا : لقد كانت أفكار هذا الكتاب أجمل ما تكون لما كانت في عقلي ؛ لأنها كانت محفوفة برونق سياج حقيقتي المطلقة ، حقيقتي أنا . ولكنها تنقص قيمتها وتضمحلُ حقيقتها ، بعد أن أخرجتها ووضعتها على الورق ، فصارت بذلك عرضة للنقد والتجريح ، ولا سياج يحميها ؛ لأنني ربما لم أحسن التعبير عما كان يجيش في عقلي وقلبي وروحي ، وذلك شأن أفكار بني البشر . والكمال لله وحده .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ، ويكتب لصاحبه الأجر والثواب . والحمد لله رب العالمين .

باريس (سارجي) في ١/ ٦/ ٢٠٠٣

الموافق ١/ ربيع أول/ ١٤٢٤ .

*****

obeikandl.com

تمهيد

الخوف من الآخر قديم لدى بني البشر قدم الوجود الإنساني على وجه البسيطة ؛ لأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي غريزة تحفظ على الإنسان حياته . فقد ورث الناس هذا الخوف تجاه الآخرين جيلا بعد جيل ، إلا أنه كان يتضاءل في أوقات السلم ويزداد في أوقات الحرب .

فالناس ينقسمون إلى قسمين اثنين :

المؤمنون ، بشكل عام ، يعتبرون غير المؤمنين ناقصين على مستوى المؤهلات الإنسانية لفقدهم الوازع الديني ، وهم بذلك يشكلون خطرا داهما على حسن سير الحياة التي لا تستقيم ـ في نظرهم ـ إلا في ظل الشرع الإلهي الذي يحكمه الوحي . هذا خصوصا في حقب سابقة في تاريخ البشرية الطويل الدامي .

أما غير المؤمنين فينظرون إلى المؤمنين النظرة نفسها ، حيث يعتبرونهم مصدر خطر على حقوق الناس ، على حرياتهم وعلى السلم الاجتماعي لما يحملونه من قيم دينية تحد من الحريات الشخصية ؛ ولذلك يرى أصحاب المشروع الديمقراطي عدم قبول أية مبادرة باسم الدين ، خوفا من الإشهار لهذا الأمر ، ومن ثم السقوط في مبدأ الثيوقراطية [1] التي حكمت أوربا ردحا من الزمن تركت خلالها جروحات عميقة في شتى ميادين الحياة . ولكن في عصرنا الحاضر تطورت هذه النظرة حتى أصبحت سجالا بين الحكومات والمعارضات ، فكل منها يتهم الآخر بالإرهاب بمجرد الخوف على مصلحته ، فغالبا ما يُتخذ ذلك ذريعة للتّضييق على الخصوم .

---

(١) هي نظام حكم يسيطر فيه رجال الدين على البشر مدعين أنهم مخولون من الله . أو يسيطر فيه ملوك أو أباطرة مدعين أنهم ظل الله في الأرض . القاموس الفرنسي المستعمل .

obeikandl.com

وينتشر أيضا هذا التصرف الناتج عن أحكام مسبقة تجاه الخصم بين طبقات الشعب الغنية والفقيرة حيث يعتقد الفقراء ، في أي مجتمع ، أن الأغنياء حصلوا على ما بين أيديهم بطرق غير مشروعة ، ومن ثم فهم يرون وجوب تجريدهم من هذا الغنى ، أو على الأقل توزيع الثروة توزيعا عادلا كما يقولون .

والأقوياء والضعفاء ليسوا بمنأى عن هذا التصور العام ، حيث تنتشر نظرة سلبية تجاه من يتمتعون بالنفوذ المطلق والقوة المسيطرة داخل المجتمعات ، وبخاصة عندما يستغل الأقوياء نفوذهم في الإضرار بالآخرين . وبهذا تترسخ فكرة الإرهاب بين طبقات المجتمع ولو بقدر نسبي . وعلى هذا فيشكّل هذا المصطلح مادة غنية للخلاف بين المنظِّرين والمفكِّرين والفلاسفة ، بل حتى بين اللّغويين . وفعلا يقرّ الجميع بصعوبة التوصل إلى تعريف يحظى بإجماع العالم . بل حتى في حال التوصل إلى تعريف مجرد وموضوعي للكلمة ، فإن التطبيق العملي التفسيري للمصطلح يظل مشكلة كبرى .

ولنضرب المثال ليتّضح المقال . فمصطلح الحروب الصليبية عند الغربيين يقيّم بشكل إيجابي مطلقا وهي مصدر فخر واعتزاز لديهم ، فقد وُصفت تلك الحروب التي دامت قرابة ثمانية قرون بحركة تصدير الحضارة والهداية قديما ، وتوصف حاليا على أنها حرب على الإرهاب كما جاء في خطاب الرئيس الأمريكي جورج وولكر بوش غداة أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي هزّت نيويورك وواشنطن .

كما أن الفتوحات الإسلامية ، هي ما يعتبره المسلمون والعرب حركة هداية للبشر ، ودعوة لتحرير الإنسان من الإنسان ، حتى ولو أدى ذلك تاريخيا إلى بناء إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس ، والمسلمون جميعا فخورون بتلك الإنجازات

التي حصلت عليها دولة الخلافة بانتشارها على أكبر مساحة من المعمورة في وقت قياسي جدا مقارنة بالحضارات الأخرى .

فهذه النظرة التناقضية في المفاهيم والتصورات بين بني البشر ـ وتلك سنة الله في الخلق ـ تجعل من الصعب توحيد المصطلحات بشأن بعض المفاهيم . والسؤال الذي يطرح نفسه : هل من الخير للبشرية توحيد المصطلحات حتى ولو كانت البشرية مختلفة المفاهيم أصلا ؟ أم الأفضل أن تظل الفوارق قائمة وفقا لقوانين الطبيعة الثابتة؟ ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ .

[الفتح:٢٣] .

لقد حرّم الإسلام استعمال العنف كمنهج للتغيير ، وأقر الإصلاح كوسيلة يتم من خلالها الانتقال بالناس والمجتمعات من حال إلى حال أحسن . ولم يبح الدين استعمال العنف إلا في حالات الضرورة القصوى . وإنما تبنّى منهج الإصلاح الذي هو ضد الإفساد وهو من الصلاح المتسم بالحُسن والهدوء والمقابل للفساد والسوء ، وفى القرآن الكريم : ﴿ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة:١٠٢] ، ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦] .

فالإصلاح هو التغيير إلى الأفضل ؛ ولذلك يوجه الإسلام الدعوات إلى البشر لإصلاح ما فسد فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، على اعتبار أنه لا ارتقاء بالحياة إلى مستوى أفضل فى سلم التطور الإنسانى إلا بتظافر الجهود الإنسانية المبنية على منهج الإصلاح .

ولا يفرّق الإسلام بين هدف الإصلاح وبين هدف الثورة فى مستوى التغيير وشموله ، وإنما من حيث الأسلوبُ فى التغيير وزمنُ التغيير ، فكلاهما يعنى

التغيير الشامل والعميق ، لكن الثورة تسلك سبل العنف غالبا والسرعة فى التغيير ، بينما تتم التغييرات الإصلاحية بالتدريج ؛ لأنها تعتبر عامل الوقت جزءا من الحل .

والفرق الجوهري بين الإصلاح الذي يتبنّاه الإسلام من أجل التغيير وبين الثورة ، هو أن الثورة تعطي الأولوية لتغيير الواقع ولو عن طريق الحرب والعنف والمواجهة ، بينما تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان وصياغة عقله وقلبه وروحه من جديد وفق تعاليم جديدة أرسى مبادئها الوحي الإلهي نفسه .

بعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الجديد لمجتمعه بتؤدة واطمئنان ؛ ولذلك وصفت رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام بأنها دعوات إصلاح : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ [هود:٨٨] . وتاريخ المجتمعات الإنسانية شهد ولا يزال يشهد سلسلة من التدافع بين دعاة الإصلاح ودعاة الثورة الهوجاء ، وإذا كان بين المسلمين من يتبنى الطريق الثاني من أفراد وحركات ، فلا يعني هذا أنه المنهج الذي يقره الإسلام عند التغيير وخاصة إذا كان ممزوجا بالعنف .

وقد قيّد رسول الله ﷺ ، والخلفاء الراشدون من بعده الحرب بأخلاقيات مهمة تحول دون ضرب المدنيين والمستضعفين من نساء وأطفال وشيوخ وأهل البيع والصوامع ، بنية أن تبقى الحرب نظيفة وإنسانية إلى حد كبير ؛ لأنها لا يجوز في نظر الإسلام أن تقوم إلا من أجل هدف شرعي إنساني تغلب فيها مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، كحالات الدفاع عن المستضعفين المستنجدين ، أو في حال رد الغزاة بحيث يتعين النفير .

فعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا بعث سرية أوصى أمراءها بتقوى الله في خاصة أنفسهم ومن معهم من المسلمين ثم يقول :

« اغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله . لا تغلوا ولا تغدروا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا وليدا ولا شيخا فانيا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم ، فإن هم أجابوك وإلا فأخبرهم أنهم كأعراب المسلمين ، ليس لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون .

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله فإنك ما حكم الله فيهم ، وإن أرادوك على أن تعطيهم ذمة الله فلا تعطهم ذمة الله ، ولكن أعطهم ذمّتكم وذمم آبائكم ، فإنّكم إن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم أهون عليكم من أن تخفروا ذمة الله ورسوله » [(١)] .

أما الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ فاشتهر بوصاياه العشر في الصراعات المسلحة حيث يقول : « يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولاتغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيرًا إلا لمأكلة » [(٢)] .

---

(١) معرفة علوم الحديث للنيسابوري ، ١/ ٢٣٩؛ والمبسوط للسرخسي ، ١٠/ ٤ . قرص مدمج.

(٢) مالك في الجهاد (٨٥٨) . انفرد بالحديث مالك ورفعه يحيى بن سعيد الأنصاري النجاري وهو من الثقات مطلقا.

ويتميز السَاسة الغربيون على غيرهم بتركة من الفزع جعلتهم يخافون من كل ما ليس غربيا ، كالإسلام وأهله [١] ، لكنهم أخفوا هذا الخوف خلال الفترة الشيوعية ، فلما سقطت الأخيرة وانهار نظامها كقوة رادعة تحفظ توازن الرعب في العالم ، انفرد الغرب بزعامة أمريكا وأسفر عن وجهه الحقيقي وعلت الأبواق التي تصم الإسلام بالإرهاب فاتخذوه عدوا لهم بديلاً عن الشيوعية ، حتى أعلنت أوربا مؤخرًا أن كل فصائل المقاومة في فلسطين المحتلة هي منظمات إرهابية ، وأن المعتدين الذين يدكون الأحياء الشعبية بالقنابل ليسوا إلا دعاة سلام يحاربون الإرهاب .

وهكذا تنقلب الموازين فيصبح المعروف (المقاومة) منكرا والمنكر (الاحتلال) معروفا ، إنها مفاهيم العولمة الجديدة . كل ذلك يتم تحت شعار محاربة الأصولية الإسلامية والقضاء على « الإرهاب الإسلامي » ، ومن ثم استُخْدم مصطلح الإرهاب في **معجم الإعلام اليومي** ، وكافة المحافل السياسية ، والاقتصادية والمنتديات الثقافية بشكل واسع بهدف توسيع دائرة حصار الإسلام وتشكيل رأي عام عالمي لكره المسلمين ، باعتبار أن الإرهاب لازمة من لوازم هذا الدين الإسلامي .

ويعتقد الكثير من المفكرين الغربيين أنفسهم أن السَاسة الغربيون بهذا التَّصرُّف ضد المسلمين بشكل عام ، وضد المواطنين المسلمين الأوربيين خصوصا ، يثبتون مرة أخرى للتاريخ أنهم لا يزالون ملوثين ، لا شعوريا على الأقل ، بالأحكام المسبقة ضد المسلمين ، وهي نفس الأحكام التي كان يطلقها

---

(١) يوجد حوالي ٧٠بالمائة من الأوربيين لا يعرفون الحد الأدنى عن الإسلام كحضارة ودين من أديان التوحيد الكبيرة ، كما يوجد ٧٥ بالمائة من الأمريكان الذين يجهلون كل شيء عن الإسلام .

زعماء محاكم التفتيش التي أقيمت في القرون الوسطى لسحق الملايين من المسلمين واليهود والمخالفين لعقائدهم ، ولكن هذه المرة تحت شعار آخر وهو مقاومة « الإرهاب الإسلامي » على حد زعمهم .

وعلى هذا الأساس شرعت وسائل الإعلام الغربية والأمريكية ، ووسائل إعلام المستغربين من العرب والمسلمين ، في تعبئة الرأي العام ضد الإسلام ، وخطر الإسلام ، مستخدمة مصطلح الأصولية تارة ، ومصطلح الإسلام السياسي تارة أخرى للتعبير عن هذا الخطر المحدق .

وفي هذا السياق يدعي المحررون في الصحف الغربية كالنيويورك تايمز إلى أن « الأصولية الإسلامية أصبحت التهديد الأساسي للسلام الشامل والأمن »[١] ، بينما تنشر صحف أخرى كالإنترناشيونال هيرالد تريبيون مقالات تدعي فيها « بأن التهديد الإسلامي يشبه تهديد النازية والفاشية في أعوام الثلاثينيات ، وتهديد الشيوعية في أعوام الخمسينيات »[٢] .

وتوّج هذا الاتجاه المتطرف في النظرة العدائية للإسلام ، وفي إطار بلورة فكر سياسي واستراتيجي معاد للحضارة الإسلامية ، بما قاله الأمريكي صامويل هانتنجتون ـ أستاذ العلوم السياسية ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد ـ في كتابه «صدام الحضارات» :

«إن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ، ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة ، ويعدُّ ما يقارب سبع حضارات في العالم يستبعد حصول

---

(١) انظر: أرشيف الصحيفة على شبكة المعلوماتية . www.newyorktimes.com

(٢) انظر : أرشيف الصحيفة على شبكة المعلوماتية . www.heraldtribune.com

صدامات بينها باستثناء الحضارتين الغربية والإسلامية»[١] .

وتتناول المستشرقة الإيطالية إيزابيلا كاميرا دافليتو isabella camera dafflitto هذا الموضوع بشكل أصرح وأوضح وأكثر تفصيلاً فتقول : «الغرب كان وما يزال بحاجة إلى اختراع عدو حتى يضمن لنفسه خطاً دفاعياً ويظل مترفعاً ومتعالياً على ما تبقى من العالم لسنين طويلة أو حتى لعقود ، كان هذا العدو متمثلاً بالشيوعية وبالمعسكر الشرقي ، وعندما انهارت الشيوعية برز لدى الغرب التساؤل التالي : من سيكون عدونا المقبل؟! . وإذا به يسحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صورة العدو التاريخي القديم المتمثل بالعالم الإسلامي .

لكن الغرب كان أيضاً بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصداقية هذا الاكتشاف الجديد والقديم ؛ لذا كان طبيعياً أن يحاول ترسيخ ملامح الغول من خلال تقديم الأصولية الإسلامية في صورة العدو العنيف» ويظهر من كلامها أنّ قضية الأصولية الإسلامية واجهت تضخيماً مبالغاً فيه من قبل أجهزة .

و من هنا يفقد الخطاب الغربي عن أعمال العنف الأصولية الإسلامية مصداقيته لأنّه يستهدف الإسلام وشعوبه بالدرجة الأولى ، سواء صدر عن زعماء سياسيين ، أو خبراء عسكريين ، أو رجال إعلام ، أو مستشرقين ، أو مفكرين وباحثين أكاديميين أو فلاسفة أو حتى من الناس البسطاء .

فما ينطبق تماما علينا وعلى من يصموننا بالإرهاب هو المثل العربي العتيق : « رمتني بدائها وانسلت » ، وكما هو معلوم تاريخيا أن أول من أدخل كلمة الإرهاب في العالم الإسلامي هم العصابات الصهيونية في فلسطين المحتلة ؛

---

(١) انظر : على شبكة المعلوماتية ، تصادم الحضارات

Le Choc des civilisations, Odile Jacob, Paris, 1997.

وذلك بشهادة باتريك سيل إذ يقول: « أثناء التمرد العربي في الفترة من ١٩٣٦-١٩٣٩ كانت الـ« شتيرن جانج » أول من أدخل الإرهاب إلى الشرق الأوسط عن طريق تفجير القنابل في الحافلات وفي الأسواق العربية المليئة بالمارة . ومنظمة الأرجون اليهودية الإرهابية وهي تنفذ فكرة رجل روسي المولد اسمه فلاديمير جابوتنسكي[١] والذي كان يدعو إلى سحق العرب بالقوة لإقامة سيادة يهودية كاملة فوق ضفتي نهر الأردن . وهو جدول الأعمال الذي تبناه تلامذته المخلصون إسحاق شامير ومناحم بيجين[٢] .

*****

(١) هناك حزب سياسي يتبنى أفكار جابوتنسكي ، ويطلق على من ينتمي إليه الجابوتنسكيين . وهمه الأول هو الترحيل القسري للفلسطينيين ، خلف وأمام الخط الأخضر ، ومن يرفض الرحيل سيرحّل بالموت .

(٢) بندقية للإيجار ، باتريك سيل ص (١٠٩).

obeikandl.com

خطة البحث الاستراتيجية وتعتمد على :

تفصيل العناصر التالية ، مع تحليل ونقد كل حيثية من حيثيات البحث:

الفصل الأول : مفهوم الإرهاب في اللغة العربية وتحديد مصطلحاته .

الفصل الثاني : مفهوم الإرهاب في المنظومة الغربية مع حصر مصطلحاته .

الفصل الثالث : مفهوم الإرهاب لدى منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية .

الفصل الرابع : مفهوم الإرهاب في المنظومة الشرعية الإسلامية .

الفصل الخامس : الإسلام لم ينتشر بالعنف ولم يجبر أتباعه .

الفصل السادس : الجهاد في شرعة الإسلام نظام الدولة الدفاعي .

الفصل السابع : في إطار العلاقات الدولية .

الفصل الثامن : تعريف الإرهاب .

obeikandl.com